International Jordanian Journal Aryam for Humanities and Social Sciences; IJJA
Volume1, Issue4, 2019

Administrative systems during the Fatimid era (358–567 AH/968–1171 AD)

Dr. Khanzad Sabah Mohiuddin

University of Mosul, College of Arts, Department of History, Abbasid Specialization

Received: 5/9/2019
Revised: 22/10/2019
Accepted: 19/11/2019
Published online: 6/12/2019

* *Corresponding author:*
Email:
Khanzad Sabah@gmail.com

https://doi.org/10.65811/146
Citation: ***Mohiuddin****.K.(2019).* ***Administrative systems during the Fatimid era (358-567 AH/968-1171 AD)****.International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 1(4).*

©2019 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online **2706-8455**

Abstract: Egypt lived after submission of the Islamic Authority dominance and control of many nation or local authorities and split from central government and declared its independency. It could be one of reason which helped those authorities to success. The privilege of Egypt is in the desert nature that had which prevent to be controlled by any country and especially it was the center of civilization since the dawn of the history.

Keywords: System, Administrative, Era, Fatimid.

النظم الادارية خلال العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/٩٦٨ -١١٧١م)

الدكتور خانزاد صباح محي الدين

الملخص: عاشت مصر بعد خضوعها للسلطة الاسلامية نفوذ وسيطرة عدة دويلات او سلطات محلية انشقت عن الدولة المركزية واعلنت استقلالها ولعل احد الاسباب التي ساعدت تلك السلطات من النجاح والفلاح هي امتياز مصر بطبيعتها الصحراوية التي تعسر إخضاعها لنفوذ دولة يبعد عنها مركز الخلافة ولاسيما إنها كانت مركزاً للحضارة منذ فجر التأريخ . ومن جهة أخرى كانت الدولة الفاطمية(٢٩٧- ٥٦٧هـ/٩٠٩ -١١٧١م)تبحث عن بيئة تساعدها للبزوغ ولتكون رديفةً للدولة المركزية أي الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، ويبدو إن الفاطميين قد أفلحوا في بناء حاضرة دولتهم في مصر بعد الانتقال اليها سنة(٣٥٨هـ/٩٦٩م) لتضيف لمصر محطة تاريخية حضارية شهدت خلالها نشاط عمراني، وإنبلاج فكري، وتأسيس الدولة وفق مؤسسات ادارية أشيدت حسب نظم إدارية ومالية رسمت من خلالها سياسة الدولة لبسط نفوذها على اكبر رقعة في البلاد الاسلامية.

الكلمات المفتاحية: النظم، الادارية، العصر، الفاطمي.

المقدمة

تناول تاريـخ قيام الدولة الفاطمية العديد من الدراسات والبحوث التاريخية لأنها شغّلت حيّزاً واسعاً في التأريـخ الاسلامي حيث إنها بزغت على أسس دينية مذهبية أسماعيلية لتكون منافسةً للدولة الدينية السنية العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)،وكان من البديهي أن تزهو تلك الدولة وتترقى لتوطيد أركانها لتعلو على منافستها ،كما لا يمكن الاغفال عن اهتمام الدولة بالنظم الادارية بجانبيها السياسية والحربية كإحدى الركائز المهمة التي عمل الفاطميون على الارتقاء بها حيث تمكن الفاطميون بفضل تنظيم الدعوة في بسط نفوذهم وسيادتهم على اماكن مترامية من الأراضي الاسلامية في السند والهند وعمان واليمن.

وقد اتسمت النظم الفاطمية بارتكازها على أسس دينية مذهبية شيعية ضمّت جميع مظاهر الحياة بدءاً من الخليفة او الإمام حتى أقل كاتب فيها ،حيث كانت العقيدة الفاطمية منذ نشأتها في المغرب (٢٩٧هـ/٩٠٩م) وانتقالها الى مصر في (٣٥٨هـ/٩٦٨م) ،تناول البحث دراسة تلك النظم الادارية في الدولة الفاطمية حيث بحثت أهم العوامل المؤثرة على نشأة تلك النظم بشتى مجالاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في محورها الاول ، وفي محورها الثاني أهم النظم السياسية والحربية في الدولة الفاطمية وأهم التأثيرات السياسية والحربية والاجتماعية في محورها الثالث.

المبحث الأول

أهم العوامل المؤثرة في الادارة الفاطمية

إن الاختلافات الدينية والمذهبية التي رافقت بزوغ الفاطميين على الساحة السياسية في مصر أوجبت عليهم اتباع جميع السبل في سبيل تأمين أوسع رقعة في المجتمع المصري حيث كان اليهود والنصارى الاقباط تعيش مع المسلمين ،كما إن الفاطميون الاسماعيلية بعدما دخلوا الى مصر يسعون لنيل مودة اهلها من جهة ،ويدعون لانضمام أكثر عدد منهم الى مذهب الاسماعيلية الشيعية.

لذا يعد العامل الديني والمذهبي احدى العوامل المؤثرة على النظم الادارية في الدولة الفاطمية ولاسيما إنها كانت تسعى لترسيخ عقائدهم ومعتقداتهم على سياسة الدولة فقد كانت موضوع الامامة او الخلافة إحدى اهم الركائز في الدولة الفاطمية لأنها جمعت بين السلطة الدينية والسياسية من جهة ،ولاختلاف الآراء حولها في المذهب الشيعي من جهة اخرى ،حيث تباين الآراء حول شخصية الامام الذي يعتقد طائفة من الشيعة يعرفون بالإسماعيلية والذين يعدون

المؤسسون للدولة الفاطمية ان الامامة بعد وفاة الامام جعفر الصادق(ت:١٤٨هـ/٧٦٥م) قد انتقل الى ابنه اسماعيل (ت:١٣٨هـ/٧٥٥م،أو١٤٢هـ/٧٦٠م) بوصية اوصى بها قبل وفاته ويعدون إبنه محمد الوريث الشرعي في الامامة إلا إن فرقة اخرى تسمى بالإمامية الاثني عشرية[١].لذا كان لابد بعد إنشاء دولتهم من توطيد عقيدتهم هذه التى كانت طالما دعاتهم تسعى لنشرها في الجزر.[٢]

وقد حظي الجانب الاقتصادي والمالي لمصر باهتمام كبير في الدولة الفاطمية وذلك باستغلال مواردها الاقتصادية وثرواتها الزراعية والصناعية والتجارية لجني اموال طائلة الى خزائن الدولة حيث تطلبت إدارة البلاد ذلك، وعلى الرغم من إن مصر قد شهدت في عصر الفاطميين العديد ملازمات الاقتصادية والاوبئة[٣]التي كانت بسبب بتأثير العوامل الطبيعية كالأوبئة والفيضانات وزيادة مقياس النيل وانخفاضها أو بتأثير العامل البشري لعدم كفاءة الموكل اليه الجانب المالي أو لفساده لكن الفاطميين استطاعوا من بناء حضارة تشهد لهم الازدهار تميزت بها مصر طيلة فترة حكمهم. مما استوجب نظام دقيق لاستمرار إدارة إسلامية في مصر من جهة ولتكون جديرة بالتنافس مع مركز الخلافة العباسية في بغداد.

كما كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين يتألف من عدة طوائف دينية وقومية ،وعلى الرغم من إن الفاطميين السيعة الاسماعيلية كانوا الاقلية عند بناء دولتهم في مصر الى إنهم نجحوا الى كسب المصريين واحتواء المجتمع المصري لجانبهم فترة حكمهم فيها وخاصةً في عصر اوائل خلفائها في مصر حيث كان الانعاش والازدهار.

ومما لا يمكن الاغفال عنها إن احتواء مجتمع تعدد فيه طوائف دينية وقومية يستوجب نظم يشمل تنظيم أمور جباية الخراج والزكاة والجزية.

المبحث الثاني

النظم الادارية في الدولة الفاطمية

أولاً- النظم الادارية السياسية:-

الخلافة والامامة: إحدى انظمة الحكم الخاص بالمسلمين وهو نظام قوامه الدين ،والخليفة

---

[١] عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،(بيروت: ١٩٩٥م)، ص٤٢.

[٢]الجزر: الجزيرة: هي الإقليم الرئيسي من أقاليم الدعوة عند الإسماعيلية. عماد الدين ادريس، الداعي عماد الدين بن الحسن(ت:٨٧٢هـ/١٤٦٨م):تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،تحقيق: محمد اليعلاوي،دار الغرب الاسلامي، (بيروت:١٩٨٥م)، ص٦٨.

[٣]المقريزي،تقي الدين بن علي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م):اغاثة الامة بكشف الغمة،تحقيق:كرم حلمي فرحات،(القاهرة،٢٠٠٧م)،ص ٨٩-١٠٦.

موضوعة لخلافة الرسول(صلى الله عليه وسلم) في حراسة الدين وسياسة الدنيا[٤].وبموجبه له الولاية العامة والطاعة التامة لأنه ينوب الروس(صلى الله عليه وسلم) في تنفيذ الشرائع والسير بمقتضى أصول الدين والمحافظة عليه والعمل على نشره. وتعتبر الشيعة الخلافة ركناً من اركان الدين، وينحصر تعيين الخليفة أو الامام في أسرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) عندهم ، وبالتحديد في بيت معين وهو بيت إبن عمه وزوج إبنته الامام علي(رضي الله عنه) حيث ينص عقيدتهم الى إن ابنه الحسن هو الخليفة بعد والده، ولكن إختلفت الشيعة في تسلسل أئمتهم .

وبعد وفاة الصادق وإبنه اسماعيل قد تسترالائمة لعدم وجود شوكةً وقوةً يظهرون به على اعدائهم ويعدون محمد بن اسماعيل المشهور بمحمد المكتوم(١٧٩هـ/٧٩٥م)أول الائمة المستورين ويليه إبنه جعفر المصدق وإبنه محمد الحبيب ثم ينتهي طور التستر ويظهر أول خلفاء الفاطميين وهو عبيدالله المهدي الذي تم تأسيس اول دولةٍ لهم في المغرب سنة(٢٩٧هـ/٩٠٩م).[٥]

فيما يلي جدول بأسماء خلفاء الدولة الفاطميين منذ تأسيسها في المغرب وحتى سقوطها في مصر، وقد تم تضليل خلفاءها في مصر:-

وعند انتقال الفاطميين الى مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) أسبغ المعز لدين الله(٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) لوناً آخر من القدسية على شخصية الامام او الخليفة وينوه بأقواله وامثاله وكتبه بمقدرة إمامته الروحية الخارقة، لكونها غمامة الدنيا والدين معاً[٦].وأصبح ينحنى امامه هو ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين، وتمادوا في تعظيم الخلفاء الفاطميين، وأصبح الناس يقبلون الارض بين أيديهم وتلثم أيديهم وأرجلهم[٧].وهكذا أحيط شخص الخليفة الفاطمي بالرهبة والقداسة وذلك لان الله اصطفاه من شجرة النبوة ليحكم بروح من عنده،ولأن للإمام صلة روحية بالله من جنس التي للانبياء والرسل[٨] حسب مايزعمون.

وقد إصطحب اعتلاء الخليفة الفاطمي العرش عدة مظاهر غاية في الابهة والعظمة يجتمع فيها الامراء والقضاة ورجال الدين وكبار رجال الدولة. ومن اهم تلك المظاهر ذكر أسمه في المنابر ونقشها على السكة، وهو الذي يحث على الجهاد في سبيل الله والدين، ويخرج الى جيوشه البرية والبحرية ليباركها، وهو المهيمن على شؤن موظفي دولته، يكافئهم حسب كفاية كل منهم، ويملأ

---

[٤] الماوردي،علي بن محمد(ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م):الاحكام السلطانية،تحقيق: احمد جاد،(القاهرة:٢٠٠٦م)،ص١٥.

[٥] عماد الدين ادريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص١١٨-٢٢٨.

[٦] ينظر رسالة المعز لدين الله لزعيم القارمطة .المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م) اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا،تحقيق:جمال الدين الشيال،ط٢،(القاهرة:١٩٩٦م)،ج١،ص١٨٩-٢٠١.

[٧] القاضي النعمان المغربي،المجالس والمسايرات،ص ص ٣٧٠ ،٤٥١؛القلقشندي،احمد بن علي(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م):صبح الاعشى في صناعة الإنشا،تحقيق: محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،(بيروت:د.ت)،مج٣،ص٥٧٣.

[٨] القاضي النعمان المغربي:المجالس والمسايرات،ص٦٥.

اعينهم بالعطاء الكثير ،ويفسح لكل منهم المجال حسب غخلاصه ويتدرج بهم في المناصب.[٩]
كما اتبع الفاطميون نظام ولاية العهد التى كانت سائدة في الدولة الاموية والدولة العباسية ،وبذلك أستمرت الحكم بالوراثة،فعندما كان الخليفة يشعر بدنو أجله يولي أحد أبنائه ولاية العهد ويأخذ البيعة له بين رجالات الدولة ووجوه الناس ،ويتجدد البيعة بعد وفاة الخليفة وتعيين ولي العهد بالخليفة[١٠]،وقد كان ولاية العهد تنص للإبن الاكبر في العقيدة الاسماعيلية إلا إن الفاطميون خرقوا هذه القاعدة ولم يلتزموا بها دائماً، حيث عدلّ المعزلدين الله بوصيته عن إبنه الاكبر الذي كان يعيش حياة عابثة غير لائقة بمن بؤم المومنين بعده[١١]،الى إبنه الاوسط عبدالله ولكنه توفي في حياة أبيه[١٢].وبذلك كان يجب على المعز ان ينص وفقاً للعقيدة الاسماعيلية، على حفيده إبن عبدالله ولكنه نقل وصيته الى العزيز بالله نزار الاخ الاصغر لعبدالله.كما نص الحاكم بأمر بالامامة لإبن عمه إللا إنه حبس وأبعد قبل وفاته، وآلت الامامة الى إبنه الظاهر لإعزاز الدين علي بن الحاكم بتدخل من ست الملك الاخت الكبرى لحاكم.[١٣]

الوزارة : جاءت كلمة الوزير عند اللغويين بمعنى ((حبأ الملك الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه))[١٤] ، أي الذي يعينه برأيه ويستشيره الملك في اتخاذ قراراته المهمة في البلاد، وكانت الوزارة في الإسلام على نوعين: وزارة التفويض[١٥]، ووزارة التنفيذ[١٦]. ولم يُعرف في الدولة الفاطمية وزيراً طيلة فترة قيامها بالمغرب[١٧] ، على الرغم من أن الوزارة كانت تعد أرفع الوظائف عند الفاطميين وأعلاها درجةً[١٨] ،وبها تشتد قواعد المملكة[١٩]،ولكنها حين انتقلتْ إلى مصر ورسّخت بنيانها وتوطّدت أركان الخلافة فيها بدأ الخليفة يبحث عمن يحمل عنه بعضاً من

---

[٩] القلقشندي: صبح الاعشى،مج٣،ص٥٤٥-٥٥٥.
[١٠] ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٢م)،ج٤،ص ص ١١٢-١٧٦،١١٣.
[١١] الجوذري:ابو علي منصور العزيزي:سيرة الاستاذجوذر،تحقيق:محمد كامل حسين و محمد عبدالهادي شعيرة،دارالفكر العربي،(مصر:د.ت)،ص ص ١٤١، ١٨١، ١٨٦.
[١٢] ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني (٦١٧هـ/١٢٢٠م) :نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، دار الصادر،(بيروت: ١٩٩٢م)،ص٣٧.
[١٣] المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج٢،ص ٢ ١١٦؛١٨٣؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٤، ص١٩٣.
[١٤] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم الافريقي المصري (٧١١هـ/١٣١١م) :لسان العرب، دار الحديث، (القاهرة: ٢٠٠٣م)مج٩،ص٢٨٨؛ الفيروزآبادي،مجدالدين محمد يعقوب(٨١٧هـ/١٤١٤م):القاموس المحيط،داراحياء التراث العربي، (بيروت:٢٠٠٠م)، ج١، ص٦٨١
[١٥] وزيرالتفويض: وهو الذي يفوض إليه تدبير الامور برأيه وإمضائها على اجتهاده. الماوردي: الأحكام السلطانية ،ص٥٠.
[١٦] وهو الذي ليس له في الوزارة إلا التنفيذ، ويقتصر دوره في أن يكون وسيطاً بين الرعايا والولاة ويؤدي عنه ما أمر وينفذ.المصدر السابق،ص٥٢.
[١٧] ابن الطوير:نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،ص٤٠.
[١٨] القلقشندي: صبح، مج٣، ص٥٥٣؛ محمد حمدي المناوي:الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،(القاهرة:١٩٧٠م)،ص٤٠.
[١٩] الابشهيي، شهاب الدين محمد بن احمد(ت:٨٥٠هـ/١٤٤٨م):المستطرف في كل فن مستظرف،تحقيق:محمد خير طعمة الحلبي،(بيروت:٢٠٠٨م)،ص١٣٩.

أعباء الدولة ويتنازل له بالمقابل عن بعض سلطاته، وكان أول وزير للفاطميين في مصر في عهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٥٣-٩٧٥م) الذي عيَّن يعقوب[٢٠] بن كلس وزيراً له ولقبه بـ(الوزير الاجل) .[٢١]

وقد تباين سلطة الوزير في الدولة الفاطمية أثناء حكمهم في مصر فقد اكتفى الوزراء في الدولة الفاطمي بمؤازرة الخليفة ونيابته في في الامور الادارية للبلاد في عهد الخلفاء الاوائل في مصر الى إن هذا الدور قد تعاظم عندما تقلد منصب الوزارة شخصيات قوية تولت وزارة القلم والسيف معاً، مثل كشخصية بدرالدين الجمالي (٤٦٦-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م)[٢٢]،الذي ما وأن تسلم الوزارة حتى أصبح الامركله بيد الوزارء أصحاب السيوف واستبدوا بالدولة لذلك كان الاحتفال بتوليتهم الوزارة بالغاً بإظهار مظاهر الفخامة وكان يحضره إضافةً لأهل الوزير وكبار قادة الدولة وجالياتها العامة أيضا وعند انتها الاحتفال يتم توصيل الوزير الى داره ِ مرتدياً الخلع السلطانية مشاة في ركابه.[٢٣]

والجدير بالاشارة الى ان هذا المنصب لم ينحصر في بيت ولا جنسية واحدة ولا على المسلمين فحسب وتم تعين جنسيات متعددة[٢٤] وأهل الذمة من اليهود والنصارى أيضاً.[٢٥]

الولاة: أشار القلقشندي[٢٦] الى تقسيمات إدارية لمناطق نفوذ الفاطميين وقسمها الى أربع ولايات ذكرها بشكل مختصراً حسب حجم الولاية وهي كالآتي:-

- أولاً:- ولاية القوص التي كانت من أعظم الولايات في الديار المصرية ووالياها يحكم على جميع بلاد الصعيد.
- ثانياً:- ولاية الشرقية:- وكانت دون ولاية قوص في الرتبة،وكان متوليها يحكم على عمل بليس وعمل قليوب.
- ثالثاً:- ولاية الغربية:- وهي دون ولاية الشرقية في المرتبة وكان متوليها يحكم على عمل المحلة وعمل منوف وعمل أبيار.

---

[٢٠] يعقوب بن كلس: هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان تاجراً يهودياً مال إلى الفاطميين ، وأسلم وتوفي سنة٣٨٠هـ/٩٩٠م. ينظر: ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان(٥٤٢هـ/١١٤٧م) الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص (مقتطف من مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. المجلد الخامس والعشرون)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة: ١٩٧٣م، ص١٤.

[٢١] ابن الصيرفي: المصدر السابق، ص٢١

[٢٢] القلقشندي:صبح الاعشى،مج٣،ص٥٦٢.

[٢٣] م ابن ميسر،تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب بن راغب(ت : ٦٧٧هـ/١٢٧٨م):المنتقى من أخبار مصر،تحقيق:أيمن فؤاد سيد،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة،(القاهرة:١٩٨١م)،ص٤٠؛حمد حمدي المناوي:الوزارة،ص٥٤.

[٢٤] ينظر الجدول الملحق لجنسية الوزارء واديانهم محمد حمدي المناوي:الوزارة،ص٢٩٧ – ٣٠٣.

[٢٥] ابن الصيرفي: الاشارة الى من نال الوزارة،ص٥٢.

[٢٦] صبح الاعشى،مج٣،ص٥٧٠- ٥٧١.

- رابعاً: ولاية الاسكندرية :- وهي دون الغربية في الرتبة وكان متوليها يحكم أعمال البحيرة بأجمعها.

وقد ذكر ابن الطوير راتب كل من تولى الولاية سواء في مركز الدولة الفاطمية القاهرة أو الولايات الاخرى في مصر كان خمسون ديناراً شهرياً.[٢٧]

ثانياُ- النظم الادارية الحربية

أما عن النظم الادارية الحربية فقد تولى الفاطميين اهتماما لم يقل عن الاهتمام بالنظم الادارية السياسية ،وقد تضمن الدواوين التالية:-

ديوان الجيش والرواتب:-اختص هذا الديوان بمعرفة احوال الأجناد في مصر والولايات التابعة للدولة الفاطمية من الحياة والمرض والصحة والحضور والغياب، وتحصى فيها أعمالهم وتحفظ جميع الاوراق المتعلقة بهم ،ويسمى متولي هذا الديوان بـ متولي ديوان الجيش أة صاحب ديوان الجيش الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة ورفيعة في البلاط السلطاني ولة الرتبة الجليلة لأنه كان يعتبر المرجع الأعلى في شؤن الجند وعرض الاجناد وخيولهم والنظر في امورهم واقطاعاتهم وبين يديه صاحب وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة وله الطرحة والمسند وراتبه الشهري أربعون ديناراً.[٢٨]

ديوان الرواتب:- يختص هذا القسم بأسماء كل من يتقاضى راتباً من الدولة ممن يتم تسجيله من قِبل الكاتب الذي يعرضها على شكل عروض حسب المراتب المقربة للخليفة، وعن طريق العروض يتم تحديد الرواتب، فعلى سبيل المثال كان العرض الأول يشتمل براتب الوزير، والعرض الثاني حواشي الخليفة، حتى يصل إلى العرض الثامن وهم صبيان الرِكاب الذين يزيد عددهم على ألفي رجل يقومون بحمل الملحقات لركوب الخليفة في المواسم.[٢٩]

ديوان الجهاد:- شمل هذا الديوان النظر في كل مايخص الاساطيل المدنية منها والحربية منذ إنشائها وحتى تسييرها والانفاق على رجال البحر ،وكان له إيرادات خاصة للإنفاق منها على رؤساء المراكب ورجالها، وفي حال عدم كفاية موارده يتم الاستعانة ببيت مال المسلمين ليمده بما يحتاج إليه من النفقات، وحظيت مصر في عهد الفاطميين باهتمام بالغ حيث تم بناء مراكز إنشاء السفن، وكانت موضع عناية الخلفاء حتى أواخر عهدهم وربما كانت ضخامة عدد الاسطول

---

[٢٧] ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن محمد القيسراني (٦١٧هـ/١٢٢٠م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،أعاد بناؤه وقدم له:أيمن فؤاد سيد،(بيروت:١٩٩٢م)،ص٨٥.

[٢٨] المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،تحقيق: أيمن فؤاد سيد،مؤسسة الفرقان،(لندن:٢٠٠٢م)،مج٢،ص٣٣٣؛القلقشندي:صبح الاعشى،مج٣،ص٥٦٥.

[٢٩] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص٨٦؛المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج٣،ص٣٣٤.

البحري شاهداً مادياً على تلك العناية[٣٠].وإن ما دفع الفاطميين إلى الاهتمام بالأسطول لدرء خطر الغزوات البيزنطية، وليتمكنوا من مقاتلة سفن الروم في البحر، علاوةً على رغبتهم في تيسير الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام من جهة، والمغرب وصقلية من الجهة الأخرى، لذا كان لابد من تخصيص ديوان بالأساطيل يعرف بديوان الجهاد أو ديوان العمائر[٣١]، وقد كان مقره في دار صناعة الإنشاء بمصر، وبما أنهم أنشأوا له ديواناً خاصاً من المرجح أنه حظي باهتمام بالغ يتجلى في ضخامة المؤسسة العمرانية المخصصة لهاوالتي كانت تتولى إنشاء مراكب الاسطول وحمل الغلال السلطانية وغيرها .[٣٢]

وعلى الرغم من أن المؤرخين اختلفوا في تحديد موقع الديوان لكنه يبدو أن المقر الرئيس لهذا الديوان كان ضمن القصر الكبير في القاهرة[٣٣]، ولكنه تفرع إلى بقية المدن المصرية كالاسكندرية ودمياط[٣٤]، وكان يختص بإنشاء مراكب الاسطول وتجهيز كافة مستلزمات صناعتها من الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها، كما النفقة على رؤساء المراكب ورجالها .[٣٥]

كما أشار ابن الطوير[٣٦]إلى ((الخدمة في ديوان الجهاد، ويقال له: ديوان العمائر، وكان محله بصناعة الإنشاء بمصر للأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية، والأحطاب وغيرها)). فمن خلال ما ذكر، وبحث ما كان الفاطميين يرمون إليه، نرجح بأن هذا الديوان قد شغل حيزاً واسعاً ضمن اهتمامات وسياسة الدولة الفاطمية.

ديوان الاقطاع:-كان هذا الديوان أيضاً ملحقاً بديوان الجيش ومرتبطاً به ،وقد أعدّ ليختص بشؤن الاقطاعات، فينظر فيما هو مقطع للأجناد من الأراضي الخراجية برسم خاص من الدولة ولم يكن لصاحب ديوان الجيش تغيير احداً من الجند ولا شيئاً من أقطاعه إلا بموجب مرسوم حيث كانت الدولة تحدد التعامل بها وفق سعر الغلات وغيرها[٣٧]،والجدير بالإشارة إن الراتب الشهري لرئيسه كان أربعين ديناراً[٣٨]

---

[٣٠] القلقشندي:صبح الاعشى ،ص٥٩٧

[٣١] ابن مماتي،أبو المكارم شرف الدين بن أبي سعيد(ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م):القوانين والدواوين، مكتبة مدبولي،(القاهرة:١٩٩١م) ، ص٣٤٠؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٩٤.

[٣٢] المقريزي: المواعظ والاعتبار،مج٤،ص٥٣؛القلقشندي: صبح الأعشى، مج٣، ص٥٦٩.

[٣٣] ابن الطوير : نزهة المقلتين، ص٩٤.

[٣٤] ابن مماتي : القوانين والدواوين، ص٣٤٠.

[٣٥] ابن الطوير : نزهة المقلتين، ص٩٤.

[٣٦] المصدر نفسه، ص٩٤-٩٥.

[٣٧] ابن الطوير :نزهة المقلتين ، ص٨٦.

[٣٨] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج٢،ص٣٣٤-٣٣٦.

المبحث الثالث

تأثير النظم على ادارة الدولة

إن الحضارة التي شهدتها مصر أبان الحكم الفاطمي بمظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تاتي بغتةً بل لابد ان تكون السبل قد مهدت الطريق تدريجياً امامها وتجمعت عوامل مختلفة داخلياً وخارجياً امتزج ببعضها البعض فجاء النفوذ الفاطمي فأخذ أثر هذا التمهيد وهذا التفاعل وبها عاش عصر الازدهار والانتعاش الاقتصادي والعمراني إضافةً الى التوسع السياسي وانفتاحها على العالم الخارجي بإقامة علاقات سياسية أتيحت لها ترسيخ جذور أركان دولتها وانعكاس أثرها على شتى المجالات في الدولة.

لدراسة تأثير النظم الادارية في الدولة الفاطمية سيتم دراستها على النحو التالي:-

- **أولاً:- التأثيرات السياسية:-**

إن حشد سلطة الدين والدنيا في شخصية الامام أو الخليفة أعطتها مركزية وخاصةً إنها أسبغتها بقدسية تامة جعل من خلالها السلطة التشريعية والتنفيذية والسلطة القضائية بيد الخليفة كأعلى مرتبة يمثل الهيكل الإداري للدولة. ومن جهة أخرى يلاحظ إن اعتلاء العرش في الدولة الفاطمية على أساس المبدأ الوراثي كانت له ميزته وعيوبه فأما ميزته فانتقال الخلافة والحكم بطريقة طبيعية وهادئ يتضمن بقاء العرش في أسرة واحدة دون أن ينازعهم منازع، واما عيبه فهو في وصول أشخاص لا يمتلكون الكفاءات اللازمة للحكم. ولكن لابد الاشارة الى إن هذه المركزية داخل البيت الاسماعيلي الفاطمي لم تستمر حتى نهاية دولتهم بل خضعت هي الاخرى للمد والجزر وآلت احياناً الى نشوب الفتن والاضطرابات داخل البيت الفاطمي نتيجة للصراعات المتدامية على السلطة.

وعلى الرغم من كل مظاهر الفخامة الذي اتخذه الخلفاء الفاطميين إلا إن مايلحظ على البعض منهم إنه قد انتزع منهم الهيبة والوقار بسبب عدم كفائته في الادارة أو لصغر عمره مما دفع الوزراء أن يستغلوا الفرصة وهيمنة سلطتهم للتحكم في إدارة الدولة وقد بلغ بهم المآل أن يتحكموا في تعيين الخليفة،وأصبح الخليفة ألعوبةً بيد وزرائها[٣٩]،عندما أضاف المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥ – ١٠٩٤م) الاشراف على الدعوة والقضاء الى وزيره بدرالدين الجمالي،وبعد وفاة الخليفة إنشقّ الفاطمية الاسماعيلية لأنه كان قد عينّ إبنه نزار ولياً للعهد قبل وفاته ولكن

---

[٣٩] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص٤٦.

بسبب إنحيازوزيره الافضل شاهنشاه بن بدرالدين الجمالي لجانب إبنه الاخرالمستعلي تم تعيينه كخليفة للفاطميين[٤٠] .كما إن الصراع بين جنسيات القوى العسكريت باتت هي الاخرى موضوع تسببت في الإضطرابات السياسية في مناطق نفوذ الفاطميين فقد امتاز كل خليفةٍ بسيادة قوة طائفة او فئة معينة ففي عهد ثاني خلفاء الفاطميين في مصر العزيز بالله(٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)غلبت قوة الاتراك[٤١]،فيما غلب الكتاميين المغاربة في عهد الحاكم بامر الله(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) ثالث خلفاء الفاطميين[٤٢]،وقد استمرت الصراع بين القوتين مما بزغ قوةً أخرى على مسرح الاحداث الارمن في عهد المستنصر بالله الفاطمي[٤٣]. كما عمل الفاطميون على ان يكون لهم بجانب الجيوش البرية،التي تميزت بسرعة الحركة والنشاط والمتدرب على الفنون العسكرية[٤٤] ،اسطول قوي في البحر الابيض المتوسط ،ليدفعوا به تهديد البيزنطيين لبلاد الشام التي كانت تابعة لهم ،وأنشأوا في المرافيء مراكز صناعية لصناعة السفن.[٤٥]

وهكذا كان للنظم الادارية دورفي إحتواء هذه القوى والسيطرة عليها من جهة،وانفتاح الدولة بوجه القوى المجاورة في بناء علاقاتها السياسية من جهة اخرى.وعلى الرغم من كل تلك النتائج السلبية والايجابية الا إن وجود نظم يتم من خلالها بناء حضارة الدولة الفاطمية تشهد التطور السياسي والبناء الحضري طيلة فترة حكمها.

ثانياً:- الاقتصادية

كان من الضروري بعد إنتقال الدولة الفاطمية الى مصرأن يستهلوا عهدهم بتنظيم الإدارة المالية وضبط موارد بيت المال والتدقيق في جبايتها.حتى يتوفر لديهم المال الذي يكفل بقاء دولتهم وامتدارد سلطانهم ويهيء لهم سبيل حياة الترف والثراء التي جاهدوا أن ينافسوا بلاط العباسيين في ميدانها. فما أن غنتقل الفاطميون الى مصر حتى تشددوا في جباية الضرائب وتحصيل ما تاخر منها أمروا الناس على التعامل بالدينار المعزي[٤٦] ورفضوا التعامل بدينار الراضي[٤٧] إلا بسعر دون

---

[٤٠] المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج٣،ص١١

[٤١] المصدر نفسه،ج١،ص٢٤٥.

[٤٢] ا نفسه،ج٢،ص٩.

[٤٣] نفسه،ج٢،ص٣١١.

[٤٤] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج٣،ص٣٢٠.

[٤٥] المصدر السابق،مج٢،ص١٩٥.

[٤٦]الدينار المعزي: وهو الدينار الذي ضربه جوهر الصقلي بمصر سنة(٣٥٨ه/٩٦٨م)، وحمل اسم الخليفة المعز لدين الله ولقبه، وكانت قيمته تساوي خمسةً وعشرون درهماً. المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م):كتاب المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)،تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: ١٩٨٧م)، ج٣، ص١٠٠.

[٤٧]الدينار الراضي: هو الدينار العباسي الذي ضرب في عهد الخليفة الراضي(٣٢٢-٣٢٩ه/٩٣٣-٩٤٠م)، وبلغت قيمته خمسة عشر

قيمته بكثير فنال الناس إرهاق شديد.

وهكذا عملت الحكومة الفاطمية على انشاء إدارة مالية مركزية ولاريب ان إنشاء هذه الدواوين كان يتفق مع استقلال البلاد ويرمي الى استقلال العمل وضبط حسابات الدولة مع الوارد والصادر. والمعلوم إن إنتظام الادارة الحكومية يرتبط أوثق الارتباط بالادارة المالية.وخضع الحالة الاقتصادية في الدولة الفاطمية الى نظام دقيق سميت بالدواوين التي تم تنظيم الامور المالية حسب ضوابط ونظم دقيقة جمعها القلقشندي من المصادر التأريخية التي سبقه وأوردها ضمن أربعة عشرديواناً في الضرب الرابع في مصنفه[٤٨]،وإن ما يلحظ إن الدولة لم تكتفي بإنشاء دواوين واوكلّ الاشراف على هذه الدواوين من قبل متولي النظر لتدقيق الاوراق وعرضها على الوزير أو الخليفة ،الذي كان يندب المترسلين لطب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب البدول، ولايعترض فيما يقصده من احد من الدولة كما يشير إليه إبن الطوير[٤٩].هذا بالإضافة الى هيئة أخرى تسمى بـ ديوان التحقيق ،وكانت تتولى مراجعة وتنظيم مصروفات الحكومة ،فقد كانت أشبه باللجنة المالية أو ديوان المحاسبة ممايدل على سعة اختصاص هذا الديوان وعبء المهام الملقاة على عاتقه.[٥٠]

كما قام الدعاة الاسماعيلية بدور ملحوظ في فرض السيطرة على الطرق التجارية والبحرية المؤدية الى الهندي،وفي العمل على إثارة القلاقل والفوضى في مناطق نفوذ العباسيين،وظل مؤيدوهم في هذه المناطق محتفظين بالولاء للإسماعيلية والدعوة لهم.[٥١]

ثالثاً: الاجتماعية

أشير في البحث الى الاختلاط الديني والمذهبي والطائفي في مصر في عهد الفاطميين والى اختلال موزاين القوى بينهم خلال فترة حكمهم في مصر،ومن هنا برزت دور الدولة والادارة المركزية في تنظيم هذه القوى وإدارتها وفقاً لنظم دقيقة تجنبها الاصطدام وبروز الفتن بين هذه الطوائف ،ولكنها لم تفلح دوماً في ذلك حيث خضعت هي الاخرى لسيادة القوة المتغلبة التي فلحت في تشغيل اعلى المناصب في الدولة فتارةً يبرز المغاربة على مسرح الاحداث السياسية [٥٢]،وتارةً

درهماً. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٨٧.

[٤٨] صبح الاعشى،ج٣،ص ٥٦٦ -٥٦٩.

[٤٩] نزهة المقلتين،ص٧٩-٨١.

[٥٠] المصدر نفسه،ص٨١.

[٥١] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص٨٣.

[٥٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج١،ص١٣٨/ج٢،ص٩.

الاتراك والديلم[٥٣]، والارمن تارةً اخرى[٥٤].وإن وجود النظم الادارية في الدولة الفاطمية والتي خضعت لها المجتمع المصري كافةً كانت لها تأثير فعال في إخماد بعض هذه الفتن المترقبة.

كما إن للنظم الادارية الاثر الاجتماعي الفعال إضافةً لأثرها الاقتصادي لأن تهدف في نهاية المطاف الى رخاء المجتمع ورفاهيتها، فالهيئات والدواوين المختصة بالنظر في المظالم [٥٥]وتوفير العدل[٥٦] من جهة، والنشاط العمراني وتنظيمها بين حارات القاهرة[٥٧] ودروبها[٥٨]،والمساجد[٥٩]والمؤسسات العلمية[٦٠]والمرافق الخدمية[٦١] الاخرى منجهة أخرى كانت كلها من اجل ترقية المجتمع المصري وترقيتها.

---

[٥٣] المصدر السابق،ج١،ص٢٤٥.
[٥٤] نفسه،ج٢،ص٣١١.
[٥٥] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج٢، ص٣٣٧- ٣٣٩.
[٥٦] المصدر السابق،مج٣،ص٦٥٩-٦٦٨.
[٥٧] نفسه،مج٣،ص٣-٤٧،٥٣-٦٩.
[٥٨] نفسه،مج٣،ص١٠٨-١٣٩.
[٥٩] نفسه،مج٤،ص٣-٣٦٠.
[٦٠] نفسه،مج٣،ص٣٥٥-٤٠١.
[٦١] نفسه،مج٣،ص٢٦١-٢٨٦،٢٨٥-٣٠٤،٣٠٣-٣١٤.

قائمة المراجع

العبشاهي، شهاب الدين محمد بن أحمد. (٢٠٠٨). الغلو في كل فن غلو (محمد خير طعمة الحلبي، محرر). بيروت: دار النشر.

ابن الصراف، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجيب بن سليمان. (١٩٧٣). إشارة إلى من نال الوزارة (عبد الله مخلص، محرر). مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، المجلد ٢٥. القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.

ابن التوائر، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن محمد القيسراني. (١٩٩٢). نزهة المقلّتين في أخبار الدولتين (أيمن فؤاد سيد، محرر). بيروت: دار النشر.

ابن مماتي، أبو المكارم شرف الدين بن أبي سعيد. (١٩٩١). القوانين والمجموعات. مكتبة مدبولي، القاهرة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم الإفريقي المصري. (٢٠٠٣). لسان العرب. دار الحديث، القاهرة.

ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلاب بن راغب. (١٩٨١). المنتقى من أخبار مصر (أيمن فؤاد سيد، محرر). القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.

الجوهري، أبو علي منصور العزيزي. (د.ت). سيرة الأستاذ الجوهري (محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شيرا، محرران). مصر: دار الفكر العربي.

عبد القاهر البغدادي. (١٩٩٥). الفرق بين الفرق (محمد محي الدين عبد الحميد، محرر). بيروت: المكتبة العصرية.

عماد الدين إدريس، الواعظ عماد الدين بن الحسن. (١٩٨٥). تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب، قسم خاص من كتاب عيون الأخبار (محمد اليلوي، محرر). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد يعقوب. (٢٠٠٠). القاموس المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

القاضي المتمكن المغربي، النعمان بن محمد. (١٩٩٦). كتاب المجالس والمنافسات (الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح ومحمد اليلوي، محررون). بيروت: دار النشر.

القلقشندي، أحمد بن علي. (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (محمد حسين شمس الدين، محرر). بيروت: دار الكتب العلمية.

الماوردي، علي بن محمد. (٢٠٠٦). الأحكام السلطانية (أحمد جاد، محرر). القاهرة: دار النشر.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (٢٠٠٢). الخطط والاعتبارات بذكر المآثر والآثار (أيمن فؤاد سيد، محرر). لندن: مؤسسة الفرقان.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (١٩٩٦). الوعظ الحنفي على أخبار الخلفاء الفاطميين (جمال الدين الشيال، محرر). القاهرة: الطبعة الثانية.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (١٩٨٧). كتاب المقفّى الكبير: تراجم مغربية وشرقية منذ عهد العبيديين (محمد اليلوي، محرر). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المقريزي، تقي الدين بن علي. (٢٠٠٧). إغاثة الأمة بكشف الكرب (كرم حلمي فرحات، محرر). القاهرة: دار النشر.